

الشيخ العربي الدرقاوي

الدرس
12

أهداف الدرس

1. أن أتعرف سيرة الشيخ المربي العربي الدرقاوي - رحمه الله - .
2. أن أتبين منهجه في التصوف والتربية .
3. أن أتمثل طريقته في العلم والعمل .

تمهيد

يبعث الله لهذه الأمة رجالا تقوم بهم الحجة، يدلون الناس على الطريقة، ويحيون أسرار الحقيقة، يمدهم الله بعلوم لدنّية وأسرار ربانية، بما اتبعوه من سبيل المجاهدة، فتطمئن النفوس لهم بعد المكابدة، ومن هؤلاء العلماء الزهاد الشيخ المربي العربي الدرقاوي مجدد الطريقة الشاذلية الذي تخرج على يديه خلق من أهل الصلاح والولاية.

فمن هو الشيخ المربي العربي الدرقاوي؟ وما آثاره في العلم والتربية؟ وما طريقته في التصوف؟

نص الانطلاق

تحدث صاحب «سلوة الأنفاس» عن الشيخ المربي العربي الدرقاوي - رحمه الله - بقوله: «...أخذ عن جماعة من الأولياء، وجمهور من الكبراء الأصفياء، وعمدته منهم: الشيخ العارف بالله مولانا أبو الحسن علي الجمل - رضي الله عنه - فبه أشرقت في صدره أنوار العرفان، وتجلت له من ربه شمس الإحسان، ووقع له الفتح الكبير، والمدد الفياض الغزير، وتخرج على يده من لا يحصى من الشيوخ، وأرباب التمكين والرسوخ.

وطريقته - رضي الله عنه - مبنية على اتباع السنة في الأقوال والأفعال والعبادات والعادات، ومجانبة البدع كلها في جميع الحالات، مع كسر النفس وإسقاط التدبير، والتبري من الدعوى والاقتدار، والإكثار من الذكر آناء الليل وأطراف النهار، والاشتغال بالذاكرة

وما يَعْنِي، وترك كل ما يُعْنَى. وبالجملَة: فطريقته -رضي الله عنه- جلالية الظاهر، جمالية الباطن، وإن شئت قلت: سُفلية الظاهر عُلوية الباطن، كطريقة شيخه. ورسائله -نفَعنا الله به- من أنفع الرسائل للمريد، وأدلّها على كيفية السلوك والتجريد، لا يستغني عن مطالعتها سالك، ولا يجحد خيرها وفضلها إلا هالك» [سلوة الأنفاس، 1/192].

الفهم

الشرح:

- **السالك:** يقصد به عند الصوفية السائر إلى الله، وهو وسط بين «المريد» و«المنتهي».
- **التجريد:** ترك الدنيا لأجل العقبى، و«التفريد» ترك العقبى لأجل المولى.

استخلاص المضامين:

- أستخلص من النص ما بُنيت عليه طريقة الشيخ المربي العربي الدرقاوي في التصوف.

التحليل

أولاً: ترجمة الشيخ المربي العربي الدرقاوي

1. ولادته

ولد الشيخ العربيّ (أو محمد العربيّ) بن أحمد بن الحسين بن علي أبو عبد الله الإمام المربي الشهير بالدرقاوي سنة 1150هـ أو بعدها، ويقال له الدرقاوي الحسني نسبة إلى جده محمد بن يوسف الملقب بأبي درقة؛ لدرقة كبيرة (الدرقة: ترس من جلود) كانت له يتوقى بها في الحروب. كان ميلاده بقبيلة «بني زروال» وأوصافه ومعارفه لا يفي بها قلم، وهو في الشهرة كنار على علم [سلوة الأنفاس، 1/192]. كان من الفضلاء، قرأ في قبيلته، وتفقه وتصوف بفاس [الأعلام، للزركلي 4/223].

2. شيوخه وطلبه العلم

كانت حالة الشيخ المربي العربي الدرقاوي في القراءة عدمَ التكلف، بل يكتب اللوح ويتأمله قليلاً...، اشتغل بقراءة العلم بفاس بالمدرسة المصباحية [رسائل مولاي العربي الدرقاوي، ص 11] وقد

«أخذ رحمه الله عن جماعة من الأولياء، وجمهور من الكبراء الأصفياء، وعمدته منهم الشيخ العارف بالله مولانا أبو الحسن علي الجمل رضي الله عنه، فبه أشرق في صدره أنوار العرفان، وتجلت له من ربّه شمس الإحسان، ووقع له الفتح الكبير، والمدد الفيّاض الغزير، وتخرّج على يده هو من لا يحصى من الشيوخ وأرباب التمكين والرسوخ». [سلوة الأنفاس، 191/1]. والشيخ العربي الدرقاوي من أبرز من تتلمذ على يد الشيخ المربي علي الجمل، ووُصف بأنه «وارث مقامه وحاله، وجامعة بضاعة أسرارهِ وكماله» [كتاب سيدي علي الجمل، ص 5]. ومن شيوخه الولي الشهير سيدي العربي البقال، ومولاي الطيب بن مولاي محمد بوزان، والشريف المنيف أبو عبد الله محمد بن علي بن ريسون الحسني العلمي [رسائل مولاي العربي الدرقاوي، ص 13].

ثانياً: آثاره

1. تلاميذه

ممن أخذ عنه ولده الشريف المربي مولاي علي ابن الشيخ سيدي العربي الدرقاوي، وقد كان كريم الأخلاق حسن السيرة، أخذ عن أبيه مولاي العربي وتربى به وتأدب، وتكَمَّل وتهذب، وولي من بعده أمر الفقراء بفاس [سلوة الأنفاس، ص 191/1 بتصرف]. والشيخ العربي الدرقاوي سلك الشيخ ابن عجيبة على يديه طريق التصوف «ووجد الشيخ ابن عجيبة في الدرقاوي شيخاً استجمع آداب الرائد المربي، فاتصل بالشيخ محمد البوزيدي الغماري تلميذ الشيخ الدرقاوي، وأخذ عنه الطريقة الدرقاوية الشاذلية». [مقدمة «البحر المديد»، 24/1]. وعدد تلاميذه لا يكاد يحصى، وتخرج على يده كثيرون من أرباب التمكين والرسوخ، قال الشيخ (ابن سودة المري): «ما توفي مولانا العربي، حتى خلف نحو من أربعين ألف تلميذ، كلهم متأهلون للدلالة على الله سبحانه» [سلوة الأنفاس، 191/1].

ومن أبرز من أخذ عنه الشيخ البوزيدي الحسني من قبيلة غمارة، التقى بالدرقاوي، ولازمه مدة ست عشرة سنة، ويعد البوزيدي أقرب أتباع الدرقاوي إليه. قال الشيخ ابن عجيبة «وقد ندبني شيخى العارف الرباني سيدي محمد البوزيدي الحسني، وكذلك شيخه القطب الجامع شيخ المشايخ مولاي العربي الدرقاوي الحسني أن أضع تفسيراً يكون جامعاً بين تفسير أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن، فأجبت سؤالهم وأسعفت طلبتهم؛ رجاء أن يعمّ به الانتفاع، ويكون ممتعاً للقلوب والأسماع» [البحر المديد، 50/1]. وقال أيضاً «كتب لي شيخ الجماعة، وقطب دائرة التربية، مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه، فقال في آخر كتابه: وأرجو من الله ألا تموت حتى تكون داعياً إلى الله، تُذكر أهل المشرق والمغرب، أو ما هذا معناه، وقد وقع ذلك، والحمد لله» [البحر المديد، 120/5].

2. مؤلفاته

من مؤلفاته: «جواهر القرطاس»، و«مناقب الشيخ علي الجمل» والرسالة التي تسمى «بشور الهدية في مذهب الصوفية» ورسائله من أنفع الرسائل للمريد، وأدللها على كيفية السلوك والتجريد، لا يستغني عن مطالعتها سالك.

ثالثا: تصوفه

كان الشيخ المربي العربي الدرقاوي مضرب المثل في الزهد والتصوف، وهو «قدوة أهل الكمال ومرشد السالكين إلى أعلى المقامات والأحوال، كان من العارفين بالله، الدالين بأقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم على الله، جامعا لمحاسن الشيم والأخلاق، وكان آية في المعرفة بالله» [سلوة الأنفاس، 191/1]. وكانت «أحواله في بدايته وسلوكه معظمها زهد في الدنيا، وتجرده عنها حسا ومعنى، وتحققه بوصفه، ومخالفته لنفسه، وإقباله على الحق وإدباره عن جملة الخلق، لا يبالي بهم مدحوه أو ذمونه...»، لا يترك من عشاءه لغدائه، ولا من غدائه لعشاءه، بل يأخذ قدر ما يقيم به بنيته وبنية عياله، ويخرج الباقي لعباد الله، وهذا مسلك عظيم لا يقدر عليه إلا من أقدره الله عليه» [رسائل مولاي العربي الدرقاوي، ص 20 بتصرف]. وقد أشار صاحب «سلوة الأنفاس» إلى جوانب من تصوفه بقوله: «من أفراد الكمل العارفين بالله، الدالين بأقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم على الله، جامعا لمحاسن الشيم والأخلاق، طائرا بصيته المعجب في جميع البلاد من المشرق والمغرب، حتى انتشر أتباعه في عامة الأقطار، وعمرت زواياه بالإخوان الفقراء في سائر البوادي والأمصار، وصار شيخ العصر قدوة للسالكين، وملاذا للخائفين، وسراجا للسائرين، وظهرت له كرامات أجلى من الشمس في الوضوح، يغدو بمشاهدتها جميع من أهله الله لرؤيتها وروح، وتواترت بها النقول، فتلقاها العظماء بالقبول» [سلوة الأنفاس، 191/1 بتصرف].

رابعا: منهجه وطريقته في التعليم والتربية

1. طريقته في التعليم

قال الشيخ ابن عجيبة -رحمه الله-: «وما زالت أشيائنا تأمرنا بالتكلم عند المذاكرة؛ إذ بالكلام تُعرف أحوال الرجال، وسمعتُ شيخ شيخنا مولاي العربي الدرقاوي الحسني رضي الله عنه يقول: «حُكُونَا في المذاكرة ليظهر العلم» ثم عقب ابن عجيبة على ذلك بقوله: «لكن يكون بحثه مع الشيخ على وجه الاسترشاد والاستعلام، من غير معارضة ولا جدال، وإلا فالسكوت أسلم» [البحر المديد، 416/5]. وهو مسلك نفيس فيه إظهار العلم على قدر الحاجة والرغبة وعدم ابتذاله ببذله لمن

لا رغبة له فيه، وهو ديدن العلماء الربانيين في بذل العلم لراغبه وصيانتة عمن هو ليس من أهله.

2. طريقته في التربية

أسس الشيخ المربي العربي الدرقاوي «الطريقة الدرقاوية» وهو أول من نشرها في المغرب، وهي فرع من الشاذلية. [الأعلام، للزركلي 223/4]. وعُرف عنه أنه مجدد الطريقة الشاذلية «لقي شيخه علي الجمل وسلك على يديه» [سلوة الأنفاس، 191/1]، فنال من علمه وأخلاقه ومنهجه، أسس الطريقة الدرقاوية الشاذلية، وتخرج على يديه عدد لا يحصى من الشيوخ أرباب التمكين والرسوخ، وطريقته - رضي الله عنه - مبنية على اتباع السنة في الأقوال والأفعال والعبادات والعادات، ومجانبة البدع كلها في جميع الحالات، مع كسر النفس وإسقاط التدبير والاختيار، والتبري من الدعوى والاعتدار، والإكثار من الذكر آناء الليل وأطراف النهار والاشتغال بالمذاكرة وما يعني، وترك ما يُعني بالجملة: فطريقته جلالية الظاهر جمالية الباطن، وإن شئت قلت: سُفلية الظاهر عُلوية الباطن، كطريقة شيخه. ورسائله - نفعنا الله به - من أنفع الرسائل للمريد، وأدللها على كيفية السلوك والتجريد، لا يستغني عن مطالعتها سالك، ولا يجحد خيرها وفضلها إلا هالك [سلوة الأنفاس، ص 192/1].

من أقواله:

- قال الشيخ ابن عجيبة - رحمه الله -: «سمعت شيخ شيخنا مولاي العربي الدرقاوي الحسن رضي الله عنه يقول: سُدُّوا باب الطمع، وافتحوا باب الورع، والله إن فعلتم ذلك حتى يستولي باطنكم على ظاهركم. وكان أيضا يقول: «نحن لسنا مع جوع ولا مع شبع، نحن مع الله» [البحر المديد، 74/7].

- ونقل عنه قوله «ولقد سمعت شيخ شيخنا، مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه يقول: «لي ثلاثون سنة ما خالفت قلبي في شيء إلا أدبني الحق تعالى عليه» أي: في ظاهره، وذلك لغاية صفائه. [البحر المديد، 303/5].

- ومن وصاياه لأتباعه ومريديه قوله «فإن شئت أن تطوى لك الطريق، وتحصل في ساعة على التحقيق، فعليك بالواجبات، وبما تأكد من نوافل الخيرات، وتعلم من علم الظاهر ما لا بد منه، إذ لا يعبد ربنا إلا به، ولا تُوغل فيه ولا تتبعه إذ لا يطلب فيه التبحر، إنما يطلب التبحر في الباطن، وخالف هواك إذ ترى عجبا. والخلق الكريم هو التصوف عند الصوفيين، وهو الدين عند أهل الدين» [رسائل مولاي العربي الدرقاوي، ص 33].

خامسا: وفاته

توفي في قبيلة «بني زروال» ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من صفر الخير عام 1239هـ وضريحه هنالك مشهور معروف، وبإثالة الخيرات والبركات لقاصديه وزائريه موصوف، ومناقبه وأوصافه ومعارفه لا يفي بها قلم، وهي من الشهرة كزار على علم [سلوة الأنفاس، 1/192].

التقويم

1. أعرف بالشيخ المربي العربي الدرقاوي .
2. أبين منهج وطريقة الشيخ العربي الدرقاوي في التصوف .

الاستثمار

قال الشيخ ابن عجيبة - رحمه الله -: «ظهر أهل التربية بعد زمان الفترة وخمود أنوار الطريقة وأسرار الحقيقة حجة على العباد، ونعمة كبيرة على أهل العشق والوداد، من انتكب عنهم لقي الله بقلب سقيم، وقامت بهم الحجة عليهم عند الملك الكريم، ومن اتبعهم وحط رأسه لهم فاز بالخير الجسيم، والنعيم المقيم حيث لقي الله بقلب سليم، وقد ظهوروا في زماننا هذا بعد اندراس أنوار الطريقة، وخمود أسرار الحقيقة، فجدد الله بهم الطريقة، وأحيا بهم أسرار الحقيقة، منهم شيخنا أبو المواهب صاحب العلوم اللدنية والأسرار الربانية، البحر الفياض، سيدي محمد بن أحمد البوزيدي الحسني، وشيخه القطب الواضح، والجبل الراسخ، شيخ المشايخ، مولاي العربي الدرقاوي الحسني، أطال الله بركاتهما للأنام، فقد تخرج على أيديهما الجم الغفير من الأولياء، وليس الخبر كالعيان. [البحر المديد، 2/24].

أتأمل النص وأبين الرسالة التربوية والتعليمية للعالم المربي في المجتمع؟

الإعداد القبلي

أبحث عن مفهوم الأحوال والمقامات عند الصوفية.